مجلة طبنـــة للدراسات العلمية الأكاديمية ISSN 2661-7633 / EISSN 2716-8883

السنة: 2024 المجلد: 07 العدد: 01 ص.ص: 861-878

الرمز التاريخي ومقومات الهوية في الشعر الجزائري الحديث
ديوان "أحمد الغوالمي" أنموذجا

The historical symbole and the fondamentalales of identity in modern Algerian poetry
The case of the ontology of "Ahmed Alghaoualmy"

نعيمة بلي[1]*، جامعة جيجل، الجزائر، naima.belli@univ-jijel.dz

مخبر البحث في الدراسات الأدبية اللغوية والتعليمية والترجمة

خالد أقيس[2]، جامعة جيجل، الجزائر، k-aguis@univ-jijel.dz

تاريخ إرسال المقال: 09-01-2024 .تاريخ قبول المقال: 29-04-2024

الملخص:

كانت نهضة الشعر الجزائري الحديث مرتبطة بفعل المقاومة الثقافية، والوعي بقيمة التاريخ في الحفاظ على الهوية، حيث تأسست أعمال الشعراء في تلك الفترة على فكرة محاولة استرجاع مقومات الهوية الوطنية، بسبب تعرض الجزائر لشتى أنواع المسخ الثقافي، وقد ركزت معظم النصوص الشعرية على التاريخ كمرجع أساسي للذود عن الهوية. انطلاقا من هذه الإشكالية جاء هذا البحث الذي يهدف إلى إبراز وعي الشاعر الجزائري "أحمد الغوالمي"، في الحفاظ على الهوية عن طريق توظيف الرمز التاريخي، من شخصية ومكان وحدث، وقد قمنا باستجلاء العلاقة بين الهوية والتاريخ، وتوضيح مفهوم الرمز التاريخي، وكذا إبراز دوره في المقاومة الثقافية، وأثره الجمالي على بنية القصيدة.

الكلمات المفتاحية: الهوية، التاريخ، المقاومة، الشعر.

Abstract:

The renaissance of Modern ALgerian poetry was related to the cultural resistance, and the awareness of History value in the preservation of the identity. Some poets'works were based on the idea of taking back the basics of national identity, because of the harsh circumstances that the country lived, most poetic texts focused on History as an essential reference to protect the Identity. This research aimed at highlighting the consciousness of Ahmed El-Ghaoualmy in his Diwan and how he used the Historical Symbol to preserve the National Identity. We enlightened the relationship between Identity and History; as well as, clarifying the concept of historical symbol, and highlighting its role in cultural

resistance, and its aesthetic impact on the structure of the poem.

Key words: Identity, history, resistance, poetry.

*نعيمة بلي

مقدمة:

لجأت الدول الاستعمارية إلى دراسة الشعوب المسعمَرَة دراسة أنثربولوجية، لتعرف كيف تدمرها فكريا وثقافيا وبالتالي تسهل السيطرة عليها، ورأت أن تشويه التاريخ وتحريفه، أحد العوامل المساعدة على البقاء طويلا في هذه البلدان، وهذا ما قامت به فرنسا في الجزائر منذ دخولها، حيث ادّعت أن الجزائر دون حضارة وبلا تاريخ. وقد كانت الجزائر إبّان الاحتلال الفرنسي مسرحا لحملات التدمير من شتى النواحي، فلم يسلم الإنسان والأرض والحيوان، كما مسّ هذا التدمير مختلف مناحي الحياة الثقافية الخاصة بالفرد الجزائري، من بينها العناصر المشكلة للهوية الوطنية، وهي الدين واللغة والتاريخ، لكن الفرد الجزائري الغيور على هويته لم يقف متفرجا، بل عمل على تأسيس المشروع الإصلاحي، الذي يركز اهتمامه على مجموعة من المشاريع ذات البعد الوطني، في إطار الحفاظ على عناصر الهوية الوطنية.

ولعل من أهم الآليات التي اختارها الشاعر الجزائري للتعبير عن المشروع الإصلاحي، في إطار الوعي الفكري الذي يسبق النهضة الثقافية، هو الاهتمام بتشكيل الصناعة الشعرية، بالنظر إلى أهميتها ودورها في تلك المرحلة من التاريخ؛ لأن كتابة الشعر باللغة العربية الفصحى، هو انعكاس مباشر للتعبير عن ركائز الهوية الوطنية، فاستشعر بذلك الشاعر المثقف أهمية الذود عن هويته ووجوده؛ لأن الشعر في الوجود رسالة ورسالة الشاعر الجزائري هي حماية ذاته وتراثه من التشويه.

ومن بين المرتكزات الهوياتية التي اتخذها الشاعر سبيلا للمقاومة الثقافية، هي الدفاع عن تاريخ وحضارة الجزائر في قصائده، عن طريق توظيف الرمز التاريخي كالشخصية والمكان والحدث، وذلك لترسيخ قيمته في عقول المتلقين وقلوب أبناء الشعب الجزائري، وتحفيزه للحفاظ على أصله وحضارته في ظل سياسة الاستيطان، وحمايته من الاضمحلال والذوبان في ثقافة الآخر.

ويهدف هذا المقال إلى التأكيد على أن الشاعر الجزائري "أحمد الغوالمي" مثل جلّ شعراء العرب، لجأ إلى توظيف هذه العناصر التاريخية، وتشكيل جبهة مقاومة للاحتلال، فالشعراء العرب استخدموا مختلف المرجعيات التاريخية في قصائدهم، من أماكن حضارية وشخصيات تراثية وأحداث تاريخية لترسيخ الهوية وحمايتها من التشظي، كما تفطن الشاعر الجزائري للمخطط الإستدماري، وقاومه بشعر غني برموز تاريخية مختلفة، ساعدت على تعميق دلالة المقاومة الثقافية بطريقة فنية جمالية.

تأسيسا على هذا الطرح نتساءل: كيف كان الرمز التاريخي أحد أهم العناصر التي تؤسس الهوية الوطنية في الشعر الجزائري الحديث؟. وانطلاقا من الإشكالية المطروحة تولدت لدينا تساؤلات عدّة منها:

ما هي العلاقة بين الهوية والتاريخ؟ ما المقصود بالرمز التاريخي؟ ما هي تجليات توظيف الرمز التاريخي في ديوان أحمد الغوالمي؟ هل ترك الرمز التاريخي أثرا جماليا على بنية القصيدة؟.

للإجابة على هذه التساؤلات اعتمدنا على المنهج الموضوعاتي لدراسة ديوان الشاعر الجزائري "أحمد الغوالمي"، وكشف تجليات توظيف الرمز التاريخي، وقبل ذلك سنقوم باستجلاء العلاقة بين الهوية والتاريخ، وتوضيح مفهوم الرمز التاريخي، وكذا إبراز دوره في المقاومة الثقافية، كونه عنصرا مهما من عناصر الهوية الوطنية، مع ما يتركه هذا الرمز من أثر جمالي على بنية القصيدة.

المبحث الأول: مدخل مفاهيمي

يتناول هذا المبحث العلاقة التي تربط الهوية بالتاريخ، ذلك أن الهوية لها علاقة بالزمن، فهي تختص بالفرد والمجتمع، والتغيرات التي تطرأ على صفاتهما، وكذا تقديم مفهوم الرمز التاريخي، لأن الرمز له علاقة وطيدة في استجلاء الهوية التاريخية لأمة من الأمم.

المطلب الأول: الهوية وعلاقتها بالتاريخ

للهوية تعريفات ودلالات تتعدد بتعدد المعارف الإنسانية، منها الفلسفة والاجتماع وعلم النفس والدراسات الثقافية، ومن الصعوبة القبض على مفهوم واضح، لأنها تختص بأكثر المجالات صعوبة على التحديد؛ إذ يقول "أليكس ميكشيللي": "يعد مفهوم الهوية من المفاهيم المركزية التي تسجل حضورها الدائم في مجالات علمية متعددة ولاسيما في مجال العلوم الانسانية ذات الطابع الاجتماعي"[1].

غير أننا في هذا البحث بصدد استجلاء علاقة الهوية بالتاريخ، دون التعمق في مفهوم كل منهما على حدة، ذلك أن هذا الأخير يشكل أحد أهم مرتكزات الهوية لدى أمة ما، والتاريخ "بوصفه ذاكرة جماعية أي معرفة ووعي للجماعة بجذورها وبتجارب ومنجزات أسلافها، وبالتالي باستمراريتها عبر التاريخ وبمكانتها وخصوصيتها بين الأمم، فالمقصود هنا هو التاريخ الوطني منظورا إليه كوعي بالذات، وهو المنظور الذي يجعل منه عاملا أساسيا في ثقافة أي شعب"[2].

من هذا المنطلق يكون الحديث عن الهوية في علاقتها بالتاريخ، خاصة في مجال الكتابة الإبداعية عموما والشعرية خصوصا، ضروريا من أجل تحقيق الأمن الثقافي والفكري واستمرايته في الزمن، وبما أن الشعر وليد الظروف التاريخية التي تحيط بالمجتمع، فإن "التطلع إلى دراسة الهوية القائمة على عنصري

[1] ميكشيللي أليكس: الهوية، ترجمة: علي وطفة، ط 1، دار الوسيم للخدمات والطباعة، دمشق، 1993م، ص07.

[2] ربوح البشير وآخرون: السؤال عن الهوية، في التأسيس والنقد والمستقبل، ط 1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2016م، ص 133.

الاجتماعي والتاريخي"[1]، سيكون من الأهداف المرجو الوصول إليها في هذا البحث، إذ أن هوية الإنسان لا تقوم بدون ماض يتكئ عليه ليؤسس حاضره ويبني مستقبله، ويجابه الأخطار المحدقة به من طرف الآخرين، الذين يرومون إلى طمس حضارته، "فالبعد التاريخي وإن كان ليس كافيا، فإنه مهم في فهم أي ظاهرة مهما بدت تعقيداتها"[2].

يعد التاريخ من مصادر الكتابة الشعرية، فهو حاضر في وعي وفكر الشاعر، يستلهم منه ما يراه مناسبا للتعبير عن موقفه الشعري ورؤيته الفكرية، كما "يعد مصدرا للتجارب البشرية، استمد منه كثير من الأدباء موضوعات لإبداعهم، والأديب إنما يختار التجربة التي تصلح للتعبير عن مشكلة إنسانية أو اجتماعية، تشغله أو تشغل عصره أو تشغل الإنسان في ذاته"[3].

وقد تجلى حضور العامل التاريخي في فكر الشاعر الجزائري الحديث، ووعيه بأهميته ودوره في المقاومة الثقافية حفاظا على الهوية، من خلال ما يعرضه من تجارب إنسانية معاشة، و مشاعر و أفكار ورؤى أيديولوجية خاصة، فالشعر الجزائري الحديث قد احتوى رموزا تاريخية مختلفة استدعت شخصيات تراثية وأماكن حضارية ووقائع كبرى، ساهمت في الحفاظ على الشخصية الجزائرية، وكذا إرساء ثوابت الهوية الوطنية وإبراز معالم الجزائر الحضارية، ما مثّل شكلا من أشكال مقاومة وجود الآخر ثقافيا، وإفشال مخططه الاستيطاني الذي يهدف إلى إلغاء ومسخ تاريخ الجزائر، ذلك أن "الظاهرة الاستعمارية وخصوصيتها الاستيطانية في بلدان المغرب العربي، دمرت النمو الطبيعي للتاريخ بكل تجلياته السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والأدبية"[4].

إن الهوية في كل أمة هي مجموع السمات والخصائص التي تتميز بها دون غيرها، والمتمثلة أيضا في مقومات ثابتة يتشبث بها الأفراد المنتمين إلى تلك الأمة، بحب صادق وإخلاص تجعلهم يعملون من أجل تقدمها واستقرارها، والوعي بالهوية من طرف الشعراء الجزائريين، تمثل في الدفاع بكل تفان وإخلاص عن ثوابتها في ظل سيطرة الاحتلال الفرنسي، وهي اللغة والدين والتاريخ، "ومن هنا تزداد الحاجة إلى التاريخ، كلما تضاعفت أزمة الهوية لدى المجتمع، وتعمق الإحساس بضياع الوطن، وبقدر ما يحس الشعراء

[1] الربيعي إسماعيل: التاريخ والهوية، إشكالية الوعي بالخطاب التاريخي المعاصر، د ط، دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع، الأردن، 2002م، ص 49.

[2] غليون برهان: العرب وتحولات العالم، من سقوط جدار برلين إلى سقوط بغداد، ط 2، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2005م، ص 112.

[3] منذور محمد: الأدب وفنونه، ط 8، دار نهضة مصر للنشر، مصر، 2012م، ص78.

[4] الزاوي أمين: عودة الأنتلجنسيا، المثقف في الرواية المغاربية، ط 1، النايا للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 2009م، ص 05.

بالاقتلاع من ذواتهم والغربة في أرضهم"[1]. وهذه الحاجة هي دافع الشعراء في معركة الوعي بقيمة التاريخ ودوره في الحفاظ على الهوية، وقد تمظهر هذا الوعي بدوره في المتن الشعري على مستوى الرؤية والتشكيل، من خلال ما كتبه شعراء المرحلة الاستعمارية، ومثّل مسار بدايات تطور الشعر الجزائري الحديث.

المطلب الثاني: ماهية الرمز التاريخي وأهميته

من طبيعة الشعر أنه فن قولي يوحي ولا يفصح، حيث تلعب اللغة الشعرية الرامزة دورا في محاورة المتلقي لكشف دلالات النص العميقة، فالشاعر منذ القدم يلجأ إلى إشارات ورموز لمواربة المعاني والصور، وهذا ما عملت على تعميقه المدرسة الرمزية حيث بالغت في استخدام الأقنعة حتى أصبحت لدى بعض الشعراء من قبيل الترف الفني والفكري، حتى أن بعض النصوص تحتاج إلى شرح أو تعقيب من طرف أصحابها، ولعل هذا ما يفقد القصائد جماليتها ودورها في معالجة الحقائق وإيصال المعاني للمتلقي، لكن الشاعر الجزائري فهم قيمة الرمز والغاية من توظيفه في قصائده، فلم يكن مجرد موضوع هامشي أو تقنية جمالية لذاتها، بل كان ضرورة ملحّة ووسيلة للحفاظ على الهوية والذات الجزائرية من التمزّق.

أولا: الرمز لغة

يعرّف الرمز لغة على أنه: "تصويت خفي باللسان كالهمس، ويكون تحريك الشفتين بكلام غير مفهوم باللفظ من غير إبانة بصوت وإنما هو إشارة وإيماء بالعينين والحاجبين والشفتين والفم، والرمز في اللغة كما أشرت إليه مما يبان باللفظ بأي شيء أشرت إليه بيد أو عين"[2]. من هنا نفهم أن الرمز هو التعبير بما يعادل اللفظ من إشارات وإيحاءات تعبيرية جسدية.

ثانيا: الرمز اصطلاحا

إذا جئنا إلى التعريف الإصطلاحي "فأصل الرمز: الكلام الخفي الذي لا يكاد يفهم، ثم استعمل حتى صار الإشارة"[3]. وهذا يعني أن الرمز هو الإشارة إلى معنى معين بما يرادفه، أو استعارة صفة أو معنى

---

[1] رماني إبراهيم: المدينة في الشعر العربي، الجزائر نموذجا(1925–1962)، د ط، سحب الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007م، ص196.

[2] ابن منظور جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصاري الأفريقي المصري: لسان العرب، مجلد 5، باب رمز، ط 1، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2005م، ص 356.

[3] ابن رشيق القيرواني أبي علي الحسن: العمدة في صناعة الشعر ونقده، تح: النبوي عبد الواحد شعلان، ج 1، ط 1، الشركة الدولية للطباعة، مصر، 2000م، ص504.

والتعبير به على فكرة معينة. وهو في الأدب والشعر تحديدا: "وسيلة إيحائية من أبرز وسائل التصوير الشعرية، التي ابتدعها الشاعر المعاصر عبر سعيه الدائب وراء اكتشاف وسائل تعبير لغوية، يثري بها لغته الشعرية ويجعلها قادرة على الإيحاء بما يستعصى على التحديد والوصف من مشاعره وأحاسيسه وأبعاد رؤيته الشعرية المختلفة، فالرمز اكتشاف شعري حديث"[1].

وقد انتشر الرمز الأدبي بين الشعراء حتى صار مدرسة قائمة بذاتها، لها فلسفتها وخصائصها وروادها، لأنهم بحاجة للتعبير عن عواطفهم وأفكارهم وتجاربهم، باستخدام الرمز تفاديا للحرج والمساءلة أحيانا، وفي أحيان أخرى رغبة منهم لمشاركة القارئ في التأويل، ويعرف "محمد فتوح أحمد" الرمزية الأدبية بمعناها الفني على أنها: " طريقة في الأداء الأدبي تعتمد على الإيحاء بالأفكار والمشاعر وإثارتها بدلا من تقريرها، أو تسميتها، أو وصفها"[2]. ذلك أن الإيحاء بالشيء أو الفكرة من أبرز السمات التي يختص بها الشعر، كنوع أدبي له معماريته التي تطبعه عن غيره من الأجناس الأدبية الأخرى، و"الرمز كمعطى شعري شاع في التراث الأدبي العالمي قبل الرمزية، فقد شاع أن نوحي بفكرة بدل أن نسميها خوفا أو طلبا للتأثير الذي يحدثه عدم المباشرة في التناول والطرح"[3].

ثالثا: مفهوم الرمز التاريخي وأهميته

والرمز أنواع: أسطوري، وديني، وصوفي، وتاريخي، يستخدمه الشاعر حسب التجربة الشعرية المراد التعبير عنها، أما إذا أردنا أن نقدم مفهوما للرمز التاريخي، فهو مجموع المرجعيات التاريخية، كالأحداث الماضية، والأمكنة الحضارية، والشخوص التراثية، التي يوظفها الشاعر في نصه مستعيرا دلالتها الحقيقية، للتعبير عن رؤية أيديولوجية ما، أو موقف فكري خاص، يحمّله بحمولات ثقافية وحضارية خدمة لتجربته الإنسانية الجديدة، وقد يستخدمه بطريقة كلية أو جزئية، كما قد يزج به مباشرة في النص، أو يلجأ إلى تجريده من معناه الأصلي وشحنه بطاقة دلالية أخرى، ليتقيّأ بذلك التعبير عن تجربة شعرية مغايرة.

ولعل الشعراء الجزائريين لم يكونوا بمعزل عن هذا المضمار الشعري، فقد واكبوا ظاهرة استخدام الرموز التاريخية في قصائدهم، وفتحوا الباب أمام القارئ لممارسة دوره في إنتاج الدلالة أثناء عملية القراءة، فقد كان الوعي بالتاريخ ورموزه من قبل الشاعر الجزائري وليد ظرف تاريخي أملاه عليه حاضره الكائن، ووجه مشرف يحتسب له في مسيرته الشعرية، حيث حارب الشعراء الوجود الفرنسي بأقلامهم، وحاربوا مع ذلك

[1] عشري زايد علي: عن بناء القصيدة العربية الحديثة، ط 4، ابن سينا للطباعة والنشر والتوزيع والتصدير، مصر، 2002م، ص 104.
[2] فتوح أحمد محمد: الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، ط 3، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1984م، ص 03.
[3] بوصلاح نسيمة: تجلي الرمز في الشعر الجزائري المعاصر، ط 1، دار هومة، الجزائر، 2003م، ص 63.

محاولة تشويه تاريخ الجزائر وطمسه، وذلك عن طريق الرجوع إلى الجذور الضاربة في القدم والنبش في أعماق التاريخ الجزائري، من شخصيات وأماكن وحضارات تعاقبت على أرضها، وساهمت في تشكيل ملامحها الثقافية المتعددة، وهم في هذا المضمار يعون مقولة "رمضان حمود" والتي مفادها أنه: "إذا جهلت أمة تاريخها فقد جهلت مستقبلها، وإذا جهلت مستقبلها فقد أسرت نفسها وألقتها في يد غيرها"[1].

فالوعي بأهمية التاريخ في الشعر أساسه العودة للماضي وربطه بالحاضر، ويروم بذلك التطلع إلى مستقبل واضح المعالم؛ ذلك أنه من المميزات التي تطبع الشعر الجزائري الحديث خاصة في فترة ما قبل الاستقلال، أنه شعر وطني ينصبّ في خدمة المشروع الثقافي المقاوم للاحتلال.

المبحث الثاني: تمظهرات المرجعيات التاريخية في الديوان

عندما نتأمل قول الدكتور "محمد ناصر بوحجام": "حارب الشعراء في إطار التوعية التاريخية ظاهرة التمرد على الماضي، والتنكر لما يربط الشعب الجزائري به: من مقومات ومبادئ، قرنوا ذلك بالكشف عن الملامح البارزة في تاريخ الجزائر، والإبانة عن الصفحات البيضاء في هذا التاريخ"[2]. نجد أن الشاعر "أحمد الغوالمي" قد كان واعيا بقيمة الرمز التاريخي، في الحفاظ على التراث الثقافي للجزائر في خضم الوجود الفرنسي، لأن حضارة أي مجتمع أو أمة لا تقوم إلا على ماضيها، وهذا ما سنحاول تقديمه في هذا المبحث، حيث سنعرض مختلف المرجعيات والرموز في الديوان، مع الأثر الجمالي الذي تركته عى القصائد.

المطلب الأول: المرجعيات التاريخية في الديوان

لقد وظف الشاعر مختلف المرجعيات التاريخية كالشخصيات التراثية والأماكن الحضارية وكذا الأحداث التاريخية، من أجل دحض المشروع الاستيطاني الهادف إلى عزل الجزائر عن تاريخها، ومن المميزات التي تطبع الشعر الجزائري الحديث خاصة في فترة ما قبل الاستقلال، أنه شعر وطني ينصبّ في خدمة المشروع الثقافي المقاوم للاحتلال.

أولا: الشخصية التاريخية

لقد فشا في أوساط الجزائريين في فترة الاحتلال الاعتقاد الخاطئ بأن الجزائر فرنسية، نتيجة لذلك رأينا تنكرا لكل ما يمت للتراث ولحضارة وتاريخ الجزائر بصلة، حتى من طرف بعض المثقفين والمفكرين، لكن رغم تلك الحالة المزرية التي آلت إليها الأوضاع الثقافية في الجزائر آنذاك، نجد بعض الشعراء يقاومون

[1] حمود رمضان: بذور الحياة، ط 1، دار نزهة الألباب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2018م، ص52.

[2] بوحجام محمد ناصر: الشعر والهوية القومية، د ط، دار الكتاب الملكي، الجزائر، 2016م، ص33.

هذا التفسخ الهوياتي والحضاري، فنرى الشاعر الجزائري يستذكر شخصيات تاريخية، ويعدد مناقبها وآثارها وأثرها في العقول والنفوس ليشحذ الهمم، ويشجع الشعب على الاستنهاض والتحدي.

يقول "أحمد الغوالمي" في قصيدة "مقدمة الصوت الشهيد":

سَطَعَ النُّورُ في خِتَامِ خَرِيفٍ فَوقَ أَورَاس يَجتَلِيهَا اِرْتِيَادَا

فَتَبَاهَت بِهِ لَهَا أَخَوَات تَتَسَامَى مَنَاعَةً واشْتِدَادَا

تَتَبَارَى لِثَوْرَةٍ فِي هُجُومٍ يَفْلِقُ الرَّأْسَ والصُّخُورَ الصِّلاَدَا

سَلْ يُوغُرْطَا وحَنِبَعْل وَسَلْ كَا هِنَة تدر الشُّجَّعَ الأَمْجَادَا

وسَلْ ابْنَ الفُرَاتِ عَنْهَا ومُوسَى يَومَ فَتْحٍ وعُقْبَةَ وزِيَادَا [1]

من خلال قراءتنا لهذه الأبيات ندرك أنها تحتوي رموزا بعيدة تاريخيا، عن المرحلة التي نحاول معالجتها في هذا المقال، لكن الشاعر يستذكرها في إطار المقاومة الثقافية ضد الآخر، والحفاظ على ملامح الهوية الجزائرية في فترة النهضة، وحين يوظف رمزا قديما، لا يكون له قوة التأثير والإيحاء، إذا لم يحسن شحنه برؤى جديدة، وتطويعه دلاليا لخدمة الموقف الشعري الذي يعيشه؛ذلك أن: "للرمز الشعري بعدين أساسيين هما التجربة الشعرية الخاصة والسياق الخاص، فالتجربة الشعورية بما لها من خصوصية في كل عمل شعري، هي التي تستدعي الرمز القديم، لكي تجد فيه التفريغ الكلي لما تحمل من عاطفة أو فكرة شعورية، وذلك عندما يكون الرمز المستخدم قديما"[2]

وبهذا يؤكد الشاعر هنا أن للجزائر حضارة وتاريخا مجيدا، لا يمكن له أن يندثر مهما حاول الآخر تشويهه أو طمسه، فيستذكر أسماء ثورية تدل على ملامح هوياتية مختلفة، ولها وزن في تشكيل تاريخ الجزائر، منها "يوغرطة" المحارب الأمازيغي الذي دافع عن أرضه ضد الروماني المحتل، و"الكاهنة" التي عرفت بشدّة مقاومتها للفتح الإسلامي، إضافة إلى مختلف الشخصيات الدينية التي لها فضل في الذّود عن الدّين الإسلامي، على أرض الجزائر مثل "عقبة" و"موسى" و"زياد"، والشعراء الجزائريون إذا ذكروا هذه الشخصيات، التي عملت على إبراز معالم الجزائر الحضارية، إنما فعلوا ذلك ليحثوا القارئ على الافتخار بالجدود، مهما كان انتماؤهم الهوياتي، وذلك في ظل سياسة المسخ التي تنتهجها فرنسا اتجاه الجزائر، حفاظا على الهوية من الطمس.

[1] الغوالمي أحمد: الديوان، جمع وتحقيق: عبد الله حمادي، ط 2، وزارة الثقافة، مديرية الفنون والآداب، الجزائر، 2005م، ص 168.

[2] إسماعيل عز الدين: الشعر العربي المعاصر–قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، ط 1، دار العودة ودار الثقافة، بيروت، 1981م، ص199.

كما لا ينفك الشعراء الجزائريون يستذكرون رموز العلم والثقافة، الذين قاوموا من أجل الإصلاح الثقافي، منهم العلامة المعاصر لفترة الشاعر "عبد الحميد بن باديس"، الذي خصص له الشعراء قصائد يعتزون فيها بجهاده وتاريخه المشرّف. يقول الشاعر في قصيدة "إن ابن باديس جند" في الذكرى السابعة لرحيله:

عَبْدُ الحَمِيدِ المُنَادِي لِعِزَّةٍ وعَتَادِ
قَدْ صُنْتَ شَعْبًا شَرِيفًا وأُمَّةَ الأَمْجَادِ
سُسْتَ البَلاَدَ بِحَقّ وخِبْرَةٍ وسَدَادِ
كعُقْبَةَ فِي كِفَاحٍ أو طَارِق بْنِ زِيَادِ
أو كَالمُعْتَزّ مُجِدٍّ مُكْرِمِ الأَجْدَادِ [1]

فهذه الشخصية الوطنية المفكّرة والمصلحة، حملت لواء الجهاد الثقافي في وجه المحتل، متخذة من القلم العربي الموجه للمجتمع بجميع أطيافه، وغايتها في ذلك تقويم وتصويب الفكر والعقيدة، والشاعر الجزائري عندما يستذكر هذه الشخصيات، إنما "يختار من شخصيات التاريخ ما يوافق طبيعة الأفكار والقضايا والهموم التي يريد أن ينقلها إلى المتلقي"[2]، سواء كانت شخصيات قديمة تاريخيا أو مواكبة للحدث الذي يعيشه الشاعر، وذلك تماشيا مع تجربته الشعرية والموقف الشعوري المعاش؛ إذ "ينبغي أن ندرك بوضوح أن استخدام الرمز في السياق الشعري يضفي عليه طابعا شعريا، بمعنى أنه يكون أداة لنقل المشاعر المصاحبة للموقف، وتحديد أبعاده النفسية، وفي هذا الضوء ينبغي تفهم الرمز في السياق الشعري، أي في ضوء العملية الشعورية التي تتخذ الرمز أداة وواجهة لها"[3].

يقول الشاعر في قصيدة "هنيئا وبشرى للجزائر تغمر":

لَهُمْ فِي حِمَى التَّارِيخِ ذِكْرٌ مُقَرَّر وعِزٌّ ومَجْدٌ خَالِدٌ ومُكَرّر
عَلَى مَبْدَأ التَّحْرِيرِ كُلّ مُنَاضِل فَمَنْ لِلْحِمَى غَيْرُ المُنَاضِل يَسْهَر
فَإِنْ زَحْزَحُوا بِالأَمْسِ شَخْصَكَ غَارِبًا فَأَنْتَ إِلَى أَرْضِ العُرُوبَةِ تنْظر
إِلَى "حُسين بَاي" عزوك مُطهّرَا لِسِيرْتَا فَأَنْتَ الطَّاهِرُ المُتَعَطّر [4]

[1] الغوالمي أحمد: الديوان، ص 91.

[2] عشري زايد علي: استدعاء الشخصيات التراثية، ط 1، درا غريب للطباعة والنشر، مصر، 2006م، ص 120.

[3] إسماعيل عز الدين: الشعر العربي المعاصر–قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، ص200.

[4] الغوالمي أحمد: الديوان، ص 173.

وهنا نجد أن الشاعر يدرك مدى أهمية التاريخ ودراسته، فيقول "لهم في حمى التاريخ ذكر مقرر"، لأنه ينير العقول ويصحح الأخطاء ويعطي الدروس ويفتح الآفاق، وهو أيضا للشعب وسيلة مقاومة تقيه من النسيان والمحو، فالشعر يستلهم من التاريخ رموزا، ويوظفها قصد بلورة تجاربه وصوره ورؤيته الشعرية، وهذا لا يعني بالضرورة أن يكون الشاعر مؤرخا، فالشاعر يقول ما يمكن أن يقول، في حين يقول المؤرخ ما كان، ويكفي أن يستقي من التاريخ العبر والحكم ويقدمها بروح العصر الذي يعيشه بصورة جمالية. كما نجده يستذكر قائدا من قادة الجزائر، هو "حسين باي" الذي حكم في عهد العثمانيين في الجزائر، وكان شاهدا على ازدهار أماكن دينية ومعالم حضارية تجسد هوية المجتمع الجزائري آنذاك.

وبهذه الصورة المشرفة ارتقى شعراء الجزائر بالرموز التاريخية، إلى منزلة رفيعة من التصوير الشعري والتكثيف الدلالي، فاستنطقوا وحاوروا الأمجاد الغابرة ردّا على الإدّعاءات الباطلة والكاذبة لفرنسا، بل ودحضها بطريقة إبداعية جمالية.

ثانيا: الأمكنة الحضارية

أخذ المكان حيزا هاما في الدراسات النقدية والأدبية، وارتبط بأبعاد فنية ودلالية متنوعة، وقد وظف في القصيدة الجزائرية حسب رؤية الشاعر الأيديولوجية أما في فترة الاحتلال فقد نحى ذكر المكان منحى وطنيا ثوريا، كان الهدف منه تعميق الارتباط الهوياتي بالأرض والوطن ومقاومة المحتل، فقد أدرك الشاعر الجزائري أن "العلاقة بين الهوية والمكان هي علاقة تماهٍ في أعلى درجاتها الممكنة، فالهوية تتجسد وتتمفصل وتتراءى وتتمشهد في صورة المكان دائما، مثلما المكان يؤسس هويته كي يعيش ويدوم، إذا لا هوية بلا مكان ولا مكان بلا هوية"[1].

وتأسيسا على ذلك فقد استخدم الشاعر الجزائري، مختلف الأمكنة الحضارية العريقة كرموز تاريخية، ليذكر القارئ والمحتل أن الجزائر لها هويتها ووجودها، وأن لها مدنا ذات وجه مشرف سياسيا وثقافيا، يقول "الغوالمي" في قصيدة "لغة الضاد أم كل الصعود":

حَيِّ شَمْسًا بِأُفُقَ سِيرْتَا تَجَلَّتْ ونُجُومًا وَهَّاجَةَ اللَّمَعَانِ
إنَّ سِيرْتَا مَنَارَةُ العِلْمِ قدمًا وشُعَاعَاتُ دَوْلَةُ القُرْآنِ
قَدْ تَحَلَّتْ بِجَايَة بِحلَاها وتِلِمْسَانَ في بَنِي زَيَّانِ
وبِعَبْدِ الرَّحْمَانِ تَاهَتْ تِيهَرْتَ مِن بَنِي رُسْتُم عَلَى البُلْدَانِ

[1] عبيد محمد صابر: التنوير الروائي، إستراتيجية العلامة، فضاء التأويل، ط 1، عالم الكتب الحديث، اربد الأردن، 2015م، ص95.

فَاقْتَبِسْ مِنْ مَنَارِهِ خَيْرَ هَدْيٍ وَارْوِ مِنْ وِرْدِهِ صَدَى الظَّمْآنِ[1]

الشاعر هنا ينفي صفة التنكر والتخلي عن السلف وما خلّفوه من فضاءات ثقافية وحضارية، فمختلف المدن الجزائرية من "سيرتا" و"تلمسان" و"بجاية" إلى "تيهرت"، خضعت لعامل التغير بفعل الزمن، وتعاقبت عليها حضارات مختلفة حتى مثلت تاريخ الأمة وارتبطت بالوعي الجمعي للشعب، وكانت منارات علمية مزدهرة ثقافيا وفكريا، ومدن عزّ وجاه تضاهي مدن الآخر في شتى المجالات، لذلك يلجأ الشاعر إلى ذكرها كنوع من التذكير والاستنهاض والمقاومة، وصدّ الإدعاءات المغرضة للاحتلال الفرنسي، القائلة بأن لا حضارة للجزائر قبل دخول فرنسا إليها، والحقيقة أن "المدينة بؤرة المخيلة التاريخية، لتوليد الدلالات العريقة المتجذرة في أعماق هذا الشعب وباطن هذه الأرض، والتي تشكل سندا تصويريا ضروريا للشاعر في تبليغ رسالته النهضوية الثورية"[2].

يقول "الغوالمي" في قصيدة "صوت الشهيد":

حَيّ نَبْعَ الثُّوَّار أَوْرَاس قدما مُلْك القِوَى والرِّمَاح الصِّعَادَا

حَيِّ رَمْزَ الكِفَاحِ أُمّ العُلاَ بَا ثْنَة الطَّوْدَ نَوَّرَت أَطْوَادَا

تَفرِنْت شَلعْلَعَا وخَروبَا وشَشَّارَا بِهِ الكِفَاحُ تَمَادَى

أَيَظُنُّ التَّارِيخُ يَوْمًا سَيَنْسَى ثَوْرَة ثُرَّة الدِّمَاء عِهَادَا

حَيِّ عَنْهَا تبَسّة ورُبَاهَا بِجُيوشٍ تُمَزّقُ الأَوغَادَا

حَيِّ قَنْطِيسَ خَنْقَة وَأَرِيسَا نَيّفَ نَسْر ويُوكس العَرَب سَادَا

حَيِّ عَيْنًا للتّوت تُعْزَى وأُخْرَى لِلَتِي غُصْنِهَا المِيَادَا

حَيِّ حَلّوفَة وقَنْطَرَة الرّكـ ب المُفَادَى ومنِيعَة والمُفَادَى

حَيِّ فرْطَاس وأَحْمَر الخَدّ قد حَشَد الجُنْد لِلغِمَارِ احْتِشَادَا[3]

إن علاقة المكان بالتاريخ في القصيدة هو علاقة بالزمن؛ ذلك لأن المكان يمثل تراث أمّة ما في حقبة زمنية ماضية، حيث "يتسم المكان التاريخي بكونه متجذّرا في الزمن ومستمدّا حيويته وديمومته من اندماجه الزماني"[4]، كما يخضع للتغيير أي للاستمرارية والتغير، فالتاريخ "هو الذي يعطي للمكان قيمة

[1] الغوالمي أحمد: الديوان، ص 192.

[2] رماني إبراهيم: المدينة في الشعر العربي الجزائر نموذجا(1925–1962)، ص 196.

[3] الغوالمي أحمد: الديوان، ص 168–169.

[4] هندي إسماعيل حسن سالم: الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث (دراسات في البنية السردية)، ط 1، دار حامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2014م، ص 232.

المتغير من عهد إلى آخر"[1]. وهذا ما نستشفه من القصيدة أعلاه، من خلال ما ذكره من أمكنة مختلفة مثل: "أوراس" و"باتنة" و"تبسة" و"آريس". ويظهر المكان التاريخي في القصيدة من خلال ما شيّده الإنسان من منشآت وعمران ومدن وصروح وقلاع وقصور، غير أن هذه الأمكنة تصير محمّلة برؤى فكرية ودلالات مرتبطة بحاضر يعيشه الشاعر، يتخذ منها مطية ليعرج في فضاءات التخييل الشعري، تروم خلق حوارية بين التاريخي والشعري.

وعلى غرار ارتباط التاريخ بالهوية عند ذكر المكان في القصيدة، فإن البعد الديني لا ينفصل عنه، إذ أن الأمكنة المذكورة محملة بدلالات تاريخية دينية، تعبر عن هوية المجتمع الجزائري بمختلف مرتكزاته، وتبين تلك العلاقة الروحية بين الإنسان والمكان وتحفر قدسيته في بنية النص، يقول الشاعر في قصيدة "هنيئا وبشرى للجزائر تغمر":

فَكَم مَسْجِد قَدْ حَوَّلُوه كَنِيسَةً بِهَا جَرْسُ الصّلْبَان لِلكُفْرِ مَظْهَر

فَمَسْجِدُ سِيرْتَا عَادَ حُرًّا مُفَتّحًا فَنِعْمَ لَهُ فَتْحٌ، ونِعْمَ تَحَرُّر

كَمَسْجِدِ كَتْشَاوَا أُعِيدَ مُظَفَّرَا بِعَاصِمَةِ الشَّعْبِ المُجَاهِدِ يَظْفَر

فَيَا جَامِعًا لِلعَرَبِ سِيرتَا سعيدة بِأَنْ عُدْتَ لِلإِسْلامِ تَدْعُو وتَجْهَر

يُنَاصِرُكَ التّحْرِيرِ فِي خَيْرِ أُمَّةٍ عَلَى الضّادِ والإِسْلامِ لا تَتَغَيَّر[2]

نجد الشاعر لا ينفك يذكّر بقيمة المكان من الناحية الدينية، حيث تحكم الإنسان علاقة روحية مقدسة بالمكان، تجعله يشعر بالألفة والطمأنينة، لكن إذا ما حدث وتعرض للتدنيس، تجده يشجب ويندد كما فعل الشاعر في هذه القصيدة، ومن هذا المنطلق ارتبط خطاب الهوية في الكتابة الشعرية، بذاكرة المكان الذي يحافظ على قدسيته، ومن خلال استمراريته يصبح رمزا محملا بحمولات ثقافية تاريخية إنسانية، لتصبح الجغرافيا عبر الزمن نسقا معرفيا يروم تأريخ هوية الشعب داخل بنية القصيدة.

ثالثا: الحدث التاريخي

إن توظيف الشاعر لحوادث التاريخ في قصائده، في الحقيقة ليس توظيفا للحدث ذاته، بل استلهام لروح الحدث وتقديمه في تجربة شعرية جديدة للقارئ، ويختارها حسب الظروف السياسية والثقافية والاجتماعية السائدة، وفق معاني ورؤى جديدة ووعي فكري خاص، "فلا حرج على القصيدة الرمزية إذا

[1] النابلسي شاكر: جماليات المكان في الرواية العربية، ط 1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1994م، ص 175.

[2] الغوالمي أحمد: الديوان، ص173.

تخلى الشاعر عن البناء المنطقي ليواجه تتابعا انفعاليا ذا منطق خاص يعتمد على ارتباط عاطفة ذات مغزى بالرموز المستخدمة، ذلك أن ألوانا وأشياء وأسماء وإشارات إلى أحداث ذات قيمة عاطفية يمكن الاعتماد عليها"[1]، في إنتاج دلالة جديدة ونسج جمالية التشكيل الشعري.

حيث يشحنها الشاعر بروح حاضره ليتطلع إلى مستقبله فتصير صالحة لكل زمن، وهذا ما عبّر عنه الحدث التاريخي بكل مقاصده الدلالية في الخطاب الشعري الجزائري الحديث، لكن هذا الحدث لن يصير ذا بعد جمالي في القصيدة إذا لم يشحن بمشاعر صادقة تثير المتلقي لاستنطاق الدلالة العميقة للنص الشعري، لأنه حسب "غسان غنيم" في كتابه "الرمز في الشعر الفلسطيني": "هذا التاريخ يبقى بعيدا عن أن يكون رمزا فنيا، ما لم يستطع الشاعر شحن هذا التاريخ بمشاعر تثير في الذهن تجارب راهنة، وما لم يستطع الشاعر ربطه بالحاضر وبالتجربة المعاصرة"[2].

وفي المدونة موضوع الدراسة لا نجد اهتماما كبيرا من الشاعر بالأحداث والوقائع القديمة، بقدر اهتمامه بالشخصيات والأماكن، رغم ذلك نجد توظيفا لأعظم حدث في تاريخ الجزائر الحديث، وهي حرب التحرير ضد فرنسا، ورغم أنها كانت مزامنة لحياة الشاعر، ولم تكن سابقة له، فقد أثّرت في شاعريته وشعريته واستحوذت على أحاسيسه وفكره، حتى صارت رمزا فنيا ومرجعية متخيلة في ديوانه، وقد خصص قصائد عدّة بعنوان "صوت الشهيد" لوصف بطولات الشعب المكافح، اخترنا منها هذا المقطع:

آمَنَ الشَّعْبُ بِالكِفَاحِ فَلَبَّى كُلّ قَلْبٍ لِخَوْضِه جدُّ وَامِق
زَغْرَدَاتٍ مِنَ النِّسَاءِ تَعَالَتْ وبُنُودٍ عَلَى الرُّؤُوسِ خَوَافِق
حَارَبَ الغَاصِبِينَ لِلحُكْمِ مِنْهُ وَخَوُّونَا مُدَاهِنًا ومُنَافِق
بِهُجُومٍ عَلَى دَخِيلٍ غَشُومٍ وظَلُومٍ لِلأبْرِيَاءِ وخَانِق
قَامِعًا لِلأَحْرَارِ قَمْعَ سَوِامٍ رَامِيًا كُلّ آمِنٍ بِالصَّوَاعِق

إلى أن يصل الشاعر إلى قوله:

قَتَلَ الكَهْلَ والبَنِينَ وَأَرْدَى خَيْرَ نَبْتٍ مِنْ اليَفَاعِ المُرَاهِق
صَبَّ فَوْقَ الجَمِيعِ سَوْطَ عَذَابَ وعَذَابًا مُسْتَفْضِعًا غَيْرَ لائِق
يَقْطَعُ الثَّدْيَ لِلنِّسَاءِ ويَسْبِي مُحْصَنَاتٍ وأُخْرِيَاتٍ عَوَاتِق

[1] ناصف مصطفى: الصورة الأدبية، د ط، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د ت، ص 167.

[2] نقلا عن: قيطون أحمد: مساءلة التاريخ في الشعر الجزائري المعاصر، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، العدد 19، جانفي 2014م، ص 99–100.

يَبْقِرُ البَطْنَ لِلحُبَالَى ويَكْوِي بِلُظَاهُ جَنِينَهَا بِالحَرَائِق
أَعْجَزَتْهُ الفَيَالِق الزّهق مِنّا فَوْقَ خَيْلٍ مِنَ العُرَابِ أَزَاهِق
فَتَنَاجَى وقَالَ بَعْدَ شُهُورٍ: هُمْ جُنُونُ أَمْ فِي المُعَسْكَرِ طَارِق[1]

تعد الثورة التحريرية في الديوان من حوادث التاريخ، التي تؤرخ لهوية الشعب في ظل وجود الآخر، إذ لا يمكن أن يعرف الإنسان ذاته إلا بوجود آخر مختلف عنه ثقافة ودينا ولغة، كما تعتبر من حوادث التاريخ القريبة لزمن القصيدة، والتي تفضح أطماع فرنسا وجرائمها البشعة في الجزائر، وقد كان وقعها عنيفا على مصير الأمة الجزائرية وعلى هويتها، ولعل الغاية من العودة إلى حوادث الثورة هي تأجيج روح الانتماء لدى القارئ. "فليست العودة إلى التاريخ، رغبة في التلذذ بالذكريات الجميلة أو متعة التداعي الذاتي، بل حاجة حضارية صميمية، أفرزها الواقع التاريخي الخاص لمرحلة الاحتلال. حيث عانى الوطن العربي من الحصار والغزو الأجنبي، وتمزقت وحدة الأمة عبر وحدات قطرية في دول وممالك، ضائعة في متاه الصحراء وغربة العصر"[2]. وتفاديا لهذا التمزق والذوبان يلجأ الشاعر إلى شحن الحدث بروح التحدي والانتصار فيصف شراسة المقاومة ويمجد الشهداء ويمدحهم ويقزم المحتل ويذمه.

وهناك حوادث تاريخية أخرى استخدمت كرموز فنية وهي تعود لحقب زمنية ضاربة في القدم، كحقبة الفتح الاسلامي الذي عرف خلاله الجزائريون أقوى المعارك، بفضل القادة المسلمين أمثال "طارق بن زياد"، ولئن استذكر الشاعر هذه الحادثة وربطها بالثورة التحريرية، فإنه بذلك يروم التطلع إلى مستقبل مغاير لهذا الحاضر، وهو افتكاك الحرية لا أن يذكره لمجرد التحسر والتباكي على أمجاد غابرة من تاريخ الجزائر.

المطلب الثاني: أثر الرمز التاريخي على بناء القصيدة

لقد لجأ الشاعر إلى استخدام الرمز التاريخي كأحد مقومات الهوية في الجزائر، ليرسم معالم الجمالية في النص الشعري، ومن بين الممكنات الجمالية المستخدمة وجدنا الشخصية والمكان والحدث، حيث تساهم هذه الرموز في إثارة المتلقي، كما ترتقي بالقصيدة في فضاء الشعرية، وقد رأينا فيما سبق ذكره كيف تجلت هذه العناصر في ديوان "أحمد الغوالمي"، وكيف ساهمت في سياق صدّ الاحتلال الأجنبي، في تجسيد الفعل الثوري وتعميق دلالة البعد الهوياتي، فالبعد التاريخي يساهم في تأسيس وبناء العملية

[1] الغوالمي أحمد: الديوان، ص 165.

[2] رماني إبراهيم: مرجع سابق، ص 196.

الشعرية بطريقة فنية جمالية، ولا شك أن الشاعر قد يلجأ إلى استخدام بعض التقنيات الفنية، ليتجلى هذا التاريخ للمتلقي بصورة شعرية، لا أن يزجّ به من غير دراية بأبعاده الدلالية والفنية.

وإذا اهتمت بعض دواوين الشعر بالمرجعيات التاريخية من قبيل التّرف الفني والفكري، فقد كان حضور التاريخ في ديوان "الغوالمي" ضرورة بارزة المعالم وواضحة الأهداف، بل "ليحقق فيها الرمز الذي لا يموت أو المتناهي واللامتناهي في آن واحد"[1]. فقد كان الخطاب الهوياتي يتجلى من خلال سرد الحكايات التاريخية الماضية المنتهية، عن الثورة والمجاهدين والشهداء، والمدن بقصورها وعلمائها والأزمنة المتعاقبة عليها، لتجسيد قيم وعِبَرٍ لامتناهية عبر الزمن، كما نجد أن هناك قصائد قد نسجت صورها الشعرية، بلغة ساهمت في إبراز آليات تشكيل الخطاب الإنتمائي والتاريخي في النص الشعري. ذلك أنه: "عند استخدام اللغة في الشعر استخداما رمزيا، لا تكون هناك كلمة هي أصلح من غيرها لكي تكون رمزا، إذ المعول في ذلك على استكشاف الشاعر للعلاقات الحية التي تربط الشيء بغيره من الأشياء"[2].

كما أن اللغة من أهم وسائل التخاطب والتواصل وتبليغ المقاصد، وينطبق ذلك على العمل الأدبي عامة والشعري خاصة، ولها دور كبير في تحقيق معالم الهوية في النص الشعري، وذلك راجع إلى قدرة الشاعر على استخدام الضوابط اللغوية في تحديد أسماء الأعلام ومعالم الأماكن، "فاللغة تكسب المكان خصائص فيزيقية ومجردة في آن معا، وهذا من زاوية النظر إليه على أنه عنصر شكلي وتشكيلي في العمل الفني، ويتبدى هذا بصفة خاصة على المستوى النحوي من خلال استعمال ظروف وأسماء المكان، التي تتحدد عبرها تجربة الشاعر الكلية مع المكان ورؤياه فيه"[3]. ومن السّمات الأسلوبية التي طبعها العنصر التاريخي على بناء القصائد المختارة، نجد استخدام المعجم التاريخي مثل: "يوم فتح، التاريخ، خالد، الأمس"، والأفعال الماضية بكثرة من قبيل: "سطع، دعا، كان، تاهت، عاد، فتح، حارب".

والحديث عن وقائع تاريخية ينجر عنه توظيفا للسرد والحكي، وهو ما يدخل في نطاق تسريد الهوية عبر توظيف المرجع التاريخي، وبالتالي تداخل البنى التركيبية لبعض الأجناس فيما بينها، حيث يصبح القارئ أمام نص شعري بنفحة حكائية، ولعل هذا النموذج الشعري قد لامس جنسا أدبيا مغايرا عن الشعر وهو السرد، حيث تحضر في معماريته مكونات بنائية سردية كالضمائر والأفعال والوصف والمشاهد،

[1] أحمد علي الزبيدي رعد: القناع في الشعر العربي المعاصر، ط 1، دار الينابيع. طباعة. نشر. توزيع، دمشق، سوريا، 2008م، ص68.

[2] إسماعيل عز الدين: الشعر العربي المعاصر–قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، ص198.

[3] عقاق قادة: دلالة المدينة في الخطاب الشعري المعاصر–دراسة في إشكالية التلقي الجمالي للمكان، د ط، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001م، ص 270.

خاصة إذا سلمنا أن النص الشعري الجزائري الحديث يعتبر نصا حداثيا مفتوحا يعيد بناء وتشكيل نفسه باستمرار، فيستحدث صرحا حرّا جديدا يتسم بالثورة الفنية الشعرية مواكبة للثورة التحريرية. والملاحظ أن الشاعر لم يقحم الحدث في القصيدة اقحاما غير فني، بل سخّر اللغة الشعرية والصورة المتخيّلة لينسج خيوط نصه الشعري بحسّ جمالي، فالشاعر مبدع يستلهم الأحداث لنصه من الواقع في نسيج لغوي متخيل.

خاتمة:

عالج هذا البحث تجليات حضور الرمز التاريخي في فكر الشاعر الجزائري الحديث، ووعيه بأهميته ودوره في المقاومة الثقافية، وكذا علاقته بثوابت الهوية الوطنية، من خلال ديوان الشاعر الجزائري "أحمد الغوالمي"، وقد رأينا فيما تم عرضه أن التاريخ يعدّ من أهم مكونات الهوية الوطنية في الجزائر، إلى جانب عرض بعض الآليات الفنية، التي يلجأ إليها الشاعر للتعبير عن رؤى فكرية وتجارب إنسانية معاشة، ومن جملة النتائج المتوصل إليها نجد:

*أن علاقة الهوية بالتاريخ علاقة جدلية تكاملية، وعلاقة أخذ وعطاء لا ينفصل أحدهما عن الآخر.

*للرمز التاريخي حضور في الشعر الجزائري الحديث، ساعد على تشكيل ثوابت الهوية الوطنية، وأبرز معالم الجزائر الثقافية.

*أن ديوان "الغوالمي" قد احتوى رموزا تاريخية مختلفة، من شخصيات وأماكن وحوادث، ساهمت في الحفاظ على الحضارة الجزائرية في ظل تواجد الاحتلال الفرنسي.

*كان لهذه الرموز دورا في مقاومة وجود الآخر ثقافيا، وإفشال مخططه الاستيطاني الذي يهدف إلى إلغاء ومسخ تاريخ الوطن.

* لقد راح الرمز التاريخي يتفيأ بعدا دلاليا واضحا، ويرسم أثرا جماليا على بناء القصيدة الشعرية الجزائرية الحديثة.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: الكتب

أ-المصادر:

1.الغوالمي أحمد: الديوان، جمع وتحقيق: عبد الله حمادي، ط 2، وزارة الثقافة، مديرية الفنون والآداب، الجزائر، 2005م.

ب–المراجع:

1.ابن رشيق القيرواني أبي علي الحسن: العمدة في صناعة الشعر ونقده، تح: النبوي عبد الواحد شعلان، ج 1، ط 1، الشركة الدولية للطباعة، مصر، 2000م.

2.ابن منظور جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصاري الأفريقي المصري: لسان العرب، مجلد 5، باب رمز، ط 1، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2005م.

3.أحمد علي الزبيدي رعد: القناع في الشعر العربي المعاصر، ط 1، دار الينابيع. طباعة. نشر. توزيع، دمشق، سوريا، 2008م.

4.إسماعيل عز الدين: الشعر العربي المعاصر–قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، ط 1، دار العودة ودار الثقافة، بيروت، 1981م.

5.الزاوي أمين: عودة الأنتلجنسيا، المثقف في الرواية المغاربية، ط 1، النايا للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 2009م.

6.النابلسي شاكر: جماليات المكان في الرواية العربية، ط 1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1994م.

7.بوحجام محمد ناصر: الشعر والهوية القومية، د ط، دار الكتاب الملكي، الجزائر، 2016م.

8.بوصلاح نسيمة: تجلي الرمز في الشعر الجزائري المعاصر، ط 1، دار هومة، الجزائر، 2003م.

9.حمود رمضان: بذور الحياة، ط 1، دار نزهة الألباب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2018م.

10.ربوح البشير وآخرون: السؤال عن الهوية، في التأسيس والنقد والمستقبل، ط 1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2016م.

11.رماني إبراهيم: المدينة في الشعر العربي، الجزائر نموذجا(1925–1962)، د ط، سحب الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007م.

12.عبيد محمد صابر: التنوير الروائي، إستراتيجية العلامة، فضاء التأويل، ط 1، عالم الكتب الحديث، اربد الأردن، 2015م.

13.عشري زايد علي: استدعاء الشخصيات التراثية، ط 1، درا غريب للطباعة والنشر، مصر، 2006م.

14.عشري زايد علي: عن بناء القصيدة العربية الحديثة، ط 4، ابن سينا للطباعة والنشر والتوزيع والتصدير، مصر، 2002م.

15.عقاق قادة: دلالة المدينة في الخطاب الشعري المعاصر –دراسة في إشكالية التلقي الجمالي للمكان، د ط، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001م.

16.غليون برهان: العرب وتحولات العالم، من سقوط جدار برلين إلى سقوط بغداد، ط 2، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2005م.

17.فتوح أحمد محمد: الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، ط 3، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1984م.

18.منذور محمد: الأدب وفنونه، ط 8، دار نهضة مصر للنشر، مصر، 2012م.

19.ميكشيللي أليكس: الهوية، ترجمة: علي وطفة، ط 1، دار الوسيم للخدمات والطباعة، دمشق، 1993م.

20.ناصف مصطفى: الصورة الأدبية، د ط، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د ت.

21.نوري الربيعي إسماعيل: التاريخ والهوية، إشكالية الوعي بالخطاب التاريخي المعاصر، د ط، دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع، الأردن، 2002م.

22.هندي إسماعيل حسن سالم: الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث (دراسات في البنية السردية)، ط 1، دار حامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2014م.

ثانيا: المقالات

1.قيطون أحمد: مساءلة التاريخ في الشعر الجزائري المعاصر، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، العدد 19، جانفي 2014م.